

## (الدولة المدنية رؤية إسلامية)

د. سليمان الجاسم

أكاديمي بدولة الإمارات

حضرت على مدار ثلاثة أيام متواصلة فعاليات منتدى كوالالمبور للفكر والحضارة والمنعقد في العاصمة الماليزية كوالالمبور في الفترة من ١٠-١٣ نوفمبر ٢٠١٤، وترأس المنتدى رئيس الوزراء الماليزي الأسبق الدكتور مهاتير محمد، وقد حضر المنتدى لفيف من المفكرين والمثقفين العرب وكان موضوع المنتدى “الدولة المدنية رؤية إسلامية”.

حضر مهاتير محمد جل جلسات المنتدى وتكلم بصراحة وأجاب على أسئلة الجمهور بكل ترحيب وسرور فكانت إجاباته على تساؤلات المثقفين العرب تجمع بين خلاصة التجربة الماليزية وإدراك مكانم الخلل والعطب في التجربة العربية، ومن خلال متابعتي لكلمات الرجل وجدت أنه يصف الدواء الناجز لأزمات المجتمع العربي وسأحاول في هذه الورقة حصر أهم الأفكار التي وردت في خطابات الدكتور مهاتير محمد على مدار الأيام الثلاثة التي انعقد فيها المنتدى وهي كالتالي:

### □ أولاً: تقديم التنازلات طريق الاستقرار

شرح مهاتير محمد هذه النقطة بدقة وقال نحن في ماليزيا بلد متعدد الأعراق والأديان والثقافات وقعنا في حرب أهلية ضربت بعمق أمن واستقرار المجتمع؛ فخلال هذه الاضطرابات والقتال لم نستطع أن نضع لبنة فوق اختها فالتنمية في المجتمعات

لا تتم إلا إذا حل الأمن والسلام، فكان لازماً علينا الدخول في حوار مفتوح مع كل المكونات الوطنية دون استثناء لأحد والاتفاق على تقديم تنازلات متبادلة من قبل الجميع لكي نتمكن من توطين الاستقرار والتنمية في البلد وقد نجحنا في ذلك من خلال تبني خطة ٢٠٢٠ لبناء ماليزيا الجديدة، وتحركنا قدماً في تحويل ماليزيا إلى بلد صناعي كبير قادر على المنافسة في السوق العالمية بفضل التعايش والتسامح.

### □ — ثانياً: لا بد من ضبط البوصلة

ركز مهاتير محمد على ضرورة توجيه الجهود والطاقات إلى الملفات الحقيقية في المجتمعات والشعوب وهي الفقر والبطالة والجوع والجهل، لأن الانشغال بالأيدولوجيا ومحاولة الهيمنة على المجتمع وفرض أجندات ثقافية وفكرية عليه لن يقود المجتمعات إلا إلى مزيد من الاحتقان والتنازع، فالناس مع الجوع والفقر لا يمكنك أن تطلب منهم بناء الوعي ونشر الثقافة، وقال نحن المسلمين صرفنا أوقاتاً وجهوداً كبيرة في مصارعة طواحين الهواء عبر الدخول في معارك تاريخية مثل الصراع بين السنة والشيعة وغيرها من المعارك القديمة.

### □ — ثالثاً: الفتاوي لن تحل مشاكل المسلمين

شرح مهاتير هذه النقطة باستفاضة فقال إن قيادة المجتمعات المسلمة والحركة بما للأمام ينبغي أن لا يخضع لهيمنة فتاوى الفقهاء والوعاظ؛ فالمجتمعات المسلمة عندما رضخت لبعض الفتاوى والتصورات الفقهية التي لا تتناسب مع حركة تقدم التاريخ أصيبت بالتخلف والجهل، فالعديد من الفقهاء حرموا على الناس استخدام التلفزيون والمدياع، وركوب الدراجات، وشرب القهوة، وجرموا تجارب عباس بن فرناس للطيران.

وقال مهاتير إن كلام العديد من الفقهاء “بأن قراءة القرآن كافية لتحقيق النهوض والتقدم!! أثر سلباً على المجتمع فقد انخفضت لدينا نسب العلماء في الفيزياء والكيمياء والهندسة والطب بل بلغ الأمر في بعض الكتابات الدينية إلى تحريم الانشغال بهذه العلوم؛ وبالتالي أكد مهاتير على أن حركة المجتمع لا بد أن تكون جريئة وقوية، وعلى الجميع أن يُدرك أن فتاوى وأراء النخب الدينية ليست ديناً، فنحن نُقدس النص القرآني ولكن من الخطأ تقديس أقوال المفسرين واعتبارها هي الأخرى ديناً واجب الاتباع.

### — □ رابعاً: عون الله لا يتزل على المتعصبين

قال مهاتير: “إن الله لا يساعد الذين لا يساعدون أنفسهم” فنحن المسلمين قسمنا أنفسنا جماعات وطوائف وفرق يقتل بعضها بعضاً بدم بارد، فأصبحت طاقتنا مُهدرة بسبب ثقافة الثأر والانتقام والتي يحرص المتعصبون على نشرها في أرجاء الأمة عبر كافة الوسائل وبحماس زائد ثم بعد كل ذلك نطلب من الله أن يرحمنا ويجعل السلام والاستقرار يستوطن أرضنا!! فذلك ضرب من الخيال في ظل سنن الله التي يخضع لها البشر فلا بد من أن نساعد أنفسنا أولاً، وأن نتجاوز آلام الماضي ونحاز للمستقبل.

فنحن هنا في ماليزيا قررنا أن نعبر للمستقبل وبمشاركة كل المكونات العرقية والدينية والثقافية دون الالتفات لعذابات ومعارك الماضي فنحن أبناء اليوم وأبناء ماليزيا الموحدة نعيش تحت سقف واحد ومن حقنا جميعاً أن نتمتع بخيرات هذا الوطن.

## (أضواءً على هامش الرسالة).

لقد وضع د مهاتير محمد خارطة طريق للأمة العربية والاسلامية حكماً وشعباً ورسم لهم سبيل الخلاص والنجاة من الكوارث والعواصف التي ضربتهم وما زالت تعصف بهم كل يوم، لكنهم مازالوا لا يعرفون أصدقاءهم ولا اعداءهم ولا يميزون بين الماضي والحاضر ولا يدركون المخاطر التي تحيق بهم برغم كل المآسي والكوارث التي نزلت بهم وعليهم. مئة عام والعرب والمسلمون يُخدعون من دول الغرب وأمريكا ، ومازالوا يقعون في الميطبات والأفخاخ التي ينصبونها لهم. يصنعون لهم اعداءً ويهوّلون ويضخّمون قوتهم ليستنزفوا كل ماديهم من مال ونفط وغاز ثم أسلحة منسقة تُباع لهم لمحاربة عدوٍ مُهندسٍ على هواهم ووفق مصالحهم. يسعّرون نار الفتنة الطائفية والمذهبية والدينية والعرقية بين الشعوب العربية والاسلامية ليتم تقسيمهم وفق هذه المخططات والبرامج التي لاتخدم إلا أمريكا والغرب واسرائيل العدو الاول والأخير لكل شعوب الوطن العربي والإسلامي. لقد بين الدكتور مهاتير محمد ان تجاوز الماضي وآلامه هو بداية العبور للمستقبل المتطور والمتحضر وان محاربة الجهل والفقر والجوع والبطالة هو أولويات المهام التي يجب على الأنظمة و الحكام والشعوب العربية تنفيذها للحاق بركب التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي يحرزه عالم اليوم. وأن فتاوي المتعصبين من بعض رجال الدين ليست ديناً واجب الاتباع ولا تعدو سوى اجتهاداتٍ كانت سبباً جوهرياً في تخلف وتشرذم وتفئيت الأمة العربية بفعل أفكار التطرّف والتعصب ، وان التسامح واحترام كل الأديان والثقافات والاعراق والمذاهب هو المنطلق لبناء وطن الحرية والحضارة حلم الأجيال الحاضرة والقادمة. فمتى يبدأ الحكام وقادة الأنظمة العربية والاسلامية بانتهاج هكذا برامج وثقافة؟؟ وهل نحن مهَيَّوون كشعوب وامة واحدة لتقديم التنازلات التي قدمها الماليزيون؟؟ طابت اوقاتكم وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.